

د. ديفيد تيرنر، إنجيل متى ، المحاضرة 5ب – إنجيل متى 11-12: رفض يسوع والافتراء على الروح القدس

أهلاً بالجميع. معكم ديفيد تيرنر مجدداً. هذه المحاضرة 5ب، إنجيل متى، الإصحاحان ١١ و١٢، "رفض يسوع والتشهير بالروح القدس".

لقد استفدنا كثيراً من هذه المحاضرة في إنجيل متى، الإصحاحان ١١ و١٢، وآمل أن نستوعبها جيداً. سأترك لكم قراءة القسم الأول من تحليل مادة إنجيل متى، من الآيات ١ إلى ١٢:٥٠، في الصفحة ٢٥ من المواد التكميلية. تأملوا ذلك بأنفسكم

وسنبدأ بسؤال يوحنا المعمدان في إنجيل متى ١١: ١ إلى ٦. من اللافت للنظر أن متى ١١: ١ يذكر فقط أن يسوع علم التلاميذ بانطلاقه في خدمته الخاصة. لا يذكر متى أن يسوع أرسل التلاميذ أو أنهم عادوا لاحقاً ليتبعوه، مع أنهم معه مجدداً في ١٢: ١ ويتبعونه. من الواضح أن متى لا يروي رسالة التلاميذ أو عودتهم إلى يسوع لأن هدفه الأدبي يتركز على يسوع وتعليمه للتلاميذ والكنيسة، التي بُنيت على التلاميذ

سؤال يوحنا في ١١: ٢ و٣ يدور أساساً حول ماهية المسيح يسوع. ويركز على أعمال يسوع، التي سلط عليها متى الضوء منذ عام ٤٢٣. وقد بين متى أن الاستجابة لتلك الأعمال كانت متفاوتة مع استحسان شعبي (٤: ٢٥، ٧: ٢٨، ٨: ١، ١٨: ٩، ٨، و٣٣).

تزامنت الإشادة الشعبية مع معارضة متزايدة من القادة اليهود (5: 20، 7: 29، 9: 3، 11، و34). (لذا، فإن سؤال يوحنا حول ما إذا كان يسوع هو المسيح القادم أمر بالغ الأهمية لقارئ إنجيل متى. ورغم أن شكوك يوحنا غالباً ما تُقلل من شأنها، إلا أنه ينبغي إبرازها بكل قوة

مع أن يوحنا كان لديه أسباب كافية للإيمان بيسوع (٣: ١٣-١٧)، إلا أن سجنه لمدة ١٢ عاماً، والتأخير الظاهر في مجيء الملوك، كنا سيؤثران سلباً على ثقته. إجابة يسوع ليوحنا تُعيد تركيزه على تحقيق وعود العهد القديم بالخلاص، لا على وعود الدينونة. ليس يوحنا وحده، بل كل من يُركز على أعمال يسوع المسيحانية، سينال البركة لأنهم لن يفقدوا إيمانهم

١١: ٦. تُعد شكوك يوحنا وطريقة تعامل يسوع معها قدوة لجميع تلاميذه. يُشير ديفيز وأليسون في تفسيرهما إلى أن إنجيل متى ١١: ١ إلى ٦ يُفسر إنجيل متى بأكمله من ٤ إلى ١٠. فيسوع هو حقاً الآتي الذي بَشَّر به يوحنا

. كلمات يسوع وأعماله تُطبق حكم الله الخلاصي على خطيئة البشر ومعاناتهم، مُتممةً بذلك نبوءات إشعياء ولكن إذا كان حتى شخصٌ عظيمٌ مثل يوحنا يشك في هذا، فماذا عن أتباع يسوع الآخرين، القدماء والمعاصرين؟ عليهم هم أيضاً أن يُركزوا على كلمات يسوع وأعماله المسيحانية، لأن المعارضة ستزداد سوءاً مع تطوّر رواية متى. إذا ركّز أتباع يسوع على تأخر دينونة الله على الخطيئة، فستنشأ الشكوك

لكن يجب أن يكون تركيزهم على وجود الخلاص، لا على غياب الدينونة. قارن كلام بطرس في رسالة بطرس الثانية ٣: ٨ و٩ وفي الآية ١٥. الآن ننتقل إلى الجزء من إنجيل متى ١١، الآيات ٧ إلى ١٩، حيث يتحدث يسوع عن عظمة يوحنا المعمدان

على الرغم من شكوك يوحنا في الآيات من ١١ إلى ٦، لا ينبغي اعتباره شخصًا ضعيفًا ومترددًا. بل على العكس تمامًا، لم يعش إنسان أعظم منه قط، ولا نبي أعظم من المذكور في ملاخي ٣: ١، الذي سيمهد الطريق للمسيح. عاش يوحنا أيضًا في زمن عظيم، في المرحلة الحاسمة من نهاية العصر النبوي.

ولكنه استشهد قبيل موت يسوع ودفنه وقيامته، مُفتتحًا العهد الجديد. قارن ٢٦: ٢٨. بَشَّرَتْ خدمة يوحنا بالتقدم القوي للملكوت، لكنه وقع ضحية للعنف الذي كان يُهاجمه.

كان دوره مشابهًا لدور إيليا. قارن ١١: ١١ إلى ١٥. لم يكن يوحنا ولا يسوع، اللذان كانت حياتهما متناقضة تمامًا، مقبولين لدى معاصريهما الأشرار (١١: ١٦ إلى ١٩).

يقول هاغر: يوحنا مُقدَّس أكثر من اللازم، أما يسوع فليس مُقدَّسًا بما يكفي.

لكن في النهاية، سيُبَرَّر يسوع، ربما مُجَسَّدًا بالحكمة، بأفعاله (١١: ١٩). (تُمَهِّد الآيات من متى ١١: ٧ إلى ١٩ الطريقًا للافتراء الصارخ الذي وُجِّهَ ضد يسوع في إنجيل متى، الإصحاح ١٢. حسنًا، يكفي تحليل الآيات من ١١: ٧ إلى ١٩).

ماذا عن المسألة اللاهوتية المتعلقة بيوحنا وإيليا؟ إن كلمات يسوع الجلييلة، التي ينبغي على كل ذي أذنين أن يسمعها ويفهمها، تُبرز أهمية إدراك تعريفه ليوحنا المعمدان بإيليا في ١١: ١٤ و ١٥. وقد أثارت هذه الكلمات جدلاً واسعاً. ويبدو أن القراءة الأولى لملاخي ٤، الآيتان ٥ و ٦، تشير إلى عودة النبي إيليا إلى الأرض مُبَشِّرًا بيوم الرب.

أُخذت آية ملاخي ٤: ٥ و ٦ على ظاهرها، ويمكن رؤيتها في يوحنا ١: ٢١ ومتى ١٦: ١٤، ١٧: ١٠، ٢٧: ٤٧، ٤٩. ويبدو أن يسوع نفسه يؤكد دورًا مستقبليًا لإيليا في متى ١٧: ١١. ويعتقد البعض أن متى، معذرةً، سيتحقق حرفيًا ما جاء في ملاخي ٤: ٥ و ٦.

ولكن بأي معنى يُقال إن يوحنا هو إيليا؟ في مقاطع أخرى، أنكر يوحنا، من جهة، أنه إيليا (يوحنا ١: ٢١) ولكنه من جهة أخرى، يُقال إنه خدم بروح إيليا وقوته (لوقا ١: ١٧)، مما قد يُذكر القارئ بالطريقة التي خلف بها أليشع إيليا في سفر الملوك الثاني ٢: ٩ إلى ١٥. لم يكن يوحنا إيليا المولود من جديد، ولكنه أدى دورًا مشابهًا لدور إيليا. وللأسف، لم يكن معظم معاصريه على استعداد لقبول هذا.

١١: ١٤، قارن ٢١: ٣٢. يبقى السؤال مفتوحًا: هل ستعود إيليا حرفيًا بعدُ لإتمام ملاخي ٤، الآيتان ٥ و ٦؟ والآن، علينا أن ننتقل سريعًا إلى يوحنا ١١، الآيات ٢٠ إلى ٢٤، لندلي ببعض التعليقات حول الويلات المُهلكة التي نطق بها يسوع على المدن التي قبلت خدمته، أو لنقل، التي لم تقبلها.

إن اللوم الوارد في الآيات ١١: ٢٠ إلى ٢٤ هو أشدّ كلمات يسوع حتى هذه النقطة في إنجيل متى، ولكنه سيزداد سوءًا في الإصحاح ٢٣، الآية ١٣ وما يليها. إذا كانت لدى القارئ أية أسئلة حول كيفية استقبال خدمة يسوع فقد وُضِعَتْ هنا. مع أن متى أكد على كيفية اتباع الجموع ليسوع بفضل معجزاته الشفائية، إلا أنه يُبيِّن هنا أن غالبية هذه الجموع لم تُدرك مغزى المعجزات، أي سلطان يسوع على الأرض لمغفرة الخطايا (٩: ٦). (فقد اختبر الكثيرون بركات المعجزات بأنفسهم، ومن الواضح أن الكثيرين قد لاحظوا حدوثها).

لكن للأسف، لم يدرك سوى عدد قليل نسبيًا أهمية المعجزات في إثبات رسالة التوبة للملكوت. يشبه هذا إلى حد ما ما ورد في إنجيل يوحنا، الإصحاح السادس، الآيتين ١٤ و ١٥، وقارن بين الآيتين ٢٦ و ٢٧. استقبل الناس بركات الملكوت الأخروية بحماس، بينما رُفضت الضرورة الأخلاقية للتوبة.

تفترض نكبات يسوع على كورزين وبيت صيدا وكفرناحوم مبدأ هاما من مبادئ الدينونة الإلهية، وهو مبدأ التناسب في المساءلة، الذي يُفرض إلى درجات من الثواب والعقاب. قارن لوقا ٢٧، مع لوقا ١٢ الآيات ٤٧ و٤٨. كانت صور وصيدا، إلى جانب سدوم، مدناً شريرة رفضت وحي الله

، لكن الوحي الذي تلقوه لم يكن بنفس وضوح أو ثبات وحي يسوع لكورزين وبيت صيدا، وخاصةً كفرناحوم مسقط رأسه بالتبني، متى ٤: ١٣ و٩: ١. وهكذا، فإن دينونة صور وصيدا، وحتى سدوم، ستكون أهون من دينونة كورزين وبيت صيدا وكفرناحوم. تُعدّ هذه المدن الثلاث أيضاً بمثابة تحذير لكل من يبدو أن معرفتهم بالمسيحية قد ولّد لديهم ازدراءً. إن الولادة في عائلة مسيحية، أو الانتماء إلى كنيسة تُعلن فيها الإنجيل بأمانة أو حتى الانتماء إلى بلد تسود فيه المسيحية، هي نعمٌ مختارة من الله، ولكن لا شيء منها يُغني عن التوبة، الشخصية.

إن معرفة الإنجيل بفضل البيئة المحيطة أمرٌ مختلفٌ تماماً، وأن يُقرّ الإنسان بنفسه بحاجة إلى الإنجيل أمرٌ آخر. يهوذا الإسخريوطي شهادة مؤسفة أخرى على أن الأقرب إلى وسائل النعمة يكون أحياناً الأبعد عن غايتها.

يُقدّم تعليق برونر بعض الملاحظات الدقيقة، وإن كانت مناسبة تماماً، حول كيفية تأثير هذا المقطع علينا، نحن الذين أصبحنا لا نبالي ببركات الإنجيل وتحذيراته. ننتقل الآن إلى الكلمات الأخيرة في الإصحاح ١١: ١١ من الآيات ٢٥ إلى ٣٠، وهي كلمات مألوفة جداً لنا، أنا متأكد من ذلك. في هذا المقطع، يردّ يسوع بطريقتين على المعارضة المتزايدة

أولاً، يجد الراحة والقوة في سيادة الله كأب في 11: 25 إلى 27. ثانياً، يستمر في دعوة الناس إلى اتباعه في 11: 30. ومن اللافت للنظر أن كلا الردين يأتيان بعد إعلان الهلاك على المدن التي رفضت رسالة ملكوت 25 يسوع.

لا نجد ردّاً أفضل على المعارضة من ردّ يسوع. فعندما يرفض الناس إنجيل المسيح، لا يسعنا إلا أن نعتمد على سيادة الله ونستمر في تقديم نعمته. يؤمن الناس بالمسيح لسببين

في نهاية المطاف، بفضل قصد الله واختياره، ولأنهم سمعوا الإنجيل فوراً. يمكننا اليوم أن نستمر في الطمأنينة بسيادة الله وكفاية الإنجيل لجلب الناس إلى الإيمان. بانتهاء إنجيل متى ١١، نكون قد انتهينا من المجموعات، الثلاث الأولى من الآيتين اللتين تتحدثان عن عدم الإيمان، من الآيات ٢ إلى ١٩، ومن الآيات ٢٠ إلى ٢٤. متبوعةً بآية عن الإيمان، من الآيات ٢٥ إلى ٣٠.

معارضة المسيح ورسالته مع استمرار قصة متى. تأملها جيداً، وستتذكر الكثير من المقاطع التي ذُكرت فيها المعارضة بشكل متزايد. ولكن مع سرد متى ١١، يتضح جلياً أن الوضع قاتم

سابق المسيح في السجن، وحتى هو بدأ يشك في خدمة يسوع (متى ١١: ٣). (يشير يسوع إلى علامات جلية على حضور الملكوت، أقوالاً وأقوالاً وأعمالاً) ١١: ٤ إلى ٦)، ويشيد بعظمة يوحنا التي لا تُضاهى. إلا أن الملكوت يتعرض لهجوم عنيف من قِبَل أناس يرفضون سلطانه بغطرسة وعناد (١١: ١٢، ١٦ إلى ٢٤). (ومع ذلك، فقد كشف الابن عن الآب لبعض الأطفال الذين أجبرهم تعبه على إيجاد الراحة التي يقدمها يسوع في تلمذة الملكوت) ١١: ٢٥ إلى ٣٠)

مع ازدياد تقدّم سردية متى، يرفض الحكماء في نظر أنفسهم هذه الرسالة المُدّلة. ستُوضّح المجموعتان الثانية والثالثة من الآيات المتعلقة بالكفر والإيمان أن هذا الانقسام قويٌّ جداً. أما فيما يتعلق باللاهوت المُضمر في

الآيات ١١: ٢٥ إلى ٣٠، فقد وُصِفَت العلاقة الفريدة بين الآب والابن وفداء شعب الله بوضوحٍ لا مثيل له هنا في الآيات ١١: ٢٥ إلى ٢٧.

لقد هياً متى القارئ لهذه العبارة الجوهرية من خلال تصريحات سابقة عن الابن. فعمانوئيل، الابن المولود بأعجوبة من مريم، يرمز إلى حضور الله الخلاصي الفريد مع شعبه (متى ١: ٢٣). (ويذكر سرد متى لمعمودية يسوع سرور الآب بالابن بكلمات تُردد صدى إشعياء ٤٢: ١، متى ٣: ١٧).

الشیطان عاجز عن ثني الابن عن قراره بعدم اختبار الآب في متى ٤: ١ إلى ١١. يصنع يسوع معجزات ليُظهر أن الآب قد منح ابن الإنسان سلطة غفران الخطايا على الأرض في متى ٩: ٦. في أوقات الاضطهاد، يجب على التلاميذ الاعتراف بالابن إذا أرادوا أن يعترف بهم الابن للآب (١٠: ٣٢ و ٣٣). (ستأتي تعليقات أخرى على عظمة الابن، تُتَوَجَّ بالأمير العظيم المبني على سلطة الابن الفريدة في متى ٢٨: ١٨ إلى ٢٠).

لكن يصعب الحديث عن الابن بعبارات أسمى من تلك المستخدمة هنا في ١١: ٢٧، والتي تقول بصراحة وبلاغة إن المعرفة الخلاصية لله الآب لا تأتي إلا من خلال الوحي المُختار ليسوع، الوسيط الوحيد للخلاص قد يُفاجأ قارئ متى ١١: ٢٥ إلى ٣٠ بالطريقة التي تُقرن بها سيادة الله في ١١: ٢٥ بالدعوة إلى القرار البشري في ١١: ٢٨ إلى ٣٠. لقد شهد تاريخ الكنيسة كثيرًا من الاستقطاب حول هذين المجالين من عقيدتها، حيث أكد البعض على سيادة الله، بينما أكد آخرون على المسؤولية البشرية.

لكن بما أن النصوص الكتابية تتناول هذه الأمور غالبًا جنبًا إلى جنب، فمن الحماقة محاولة فصلها. فبفضل نعمة الله المطلقة فقط يتوب الخطاة ويؤمنون بيسوع، وهذه النعمة المطلقة لا تعمل إلا من خلال رسالة إنجيل يسوع. يجب على الكنيسة أن تركز على سيادة الله إذا أرادت أن تكتسب القوة اللازمة لجهودها في دعوة الناس في جميع أنحاء العالم للإيمان بيسوع.

من المهم أيضًا ملاحظة كيف يتحدث يسوع عن التلمذة هنا. إن ذكر النير يتماشى مع الاستعارات اليهودية للتلمذة، ولكن بأي معنى كان نير يسوع هينًا في حمله الخفيف؟ هذا صحيح لأن يسوع لم يُقرّر التقاليد الشفهية للفريسيين، التي هددت بإخفاء المسائل الأثقل في الناموس، ١٥: ٣، وما يليه، ٢٣: ١٦-٢٤. مع ذلك، لا ينبغي اعتبار نير يسوع أقل صرامة من نير الفريسيين، لأنه ذكر أن البر الذي يطلبه يفوق برهم في ٥: ٢٠. نير تلمذة يسوع خفيف مقارنةً بنير الفريسيين، لكنه لا يزال نيرًا. يسوع هو المُعلن الوحيد للآب، وهو، لا الفريسيون، المُعلّم النهائي للتوراة في الآيات ٥: ١٧-٤٨. هو لطيف ومتواضع، بينما هم مُتكبرون ومُتباهون (الآيات ٦: ١٨-١١، ٢٣: ١-١٢). (تقاليدهم تُطمس، بل وتُخالف، ما تفرضه التوراة) الآيات ١٥: ٣ و ٦. (لكن يسوع يُلامس جوهر التوراة بالتأكيد على أمورها الأهم).

من المفارقات أن تركيزه على الأمور الأثقل يُفضي إلى نير أخف. قارن مع 1 يوحنا 5: 3. الآن ننتقل إلى الإصحاح 12، الآيات 1-8، والجدل حول السبت. يصف هذا المقطع الجدل الذي نشأ عندما اعترض الفريسيون على قيام تلاميذ يسوع بجمع الحبوب وأكلها براءة أثناء سيرهم في الحقل في 12: 1-2. لاحظ، الإصحاح 12: 7، وكذلك الخلفية في سفر التثنية 23: 25. يشير رد يسوع على هذا الاعتراض إلى الملك داود والهيكل، والسبت، مستنتجًا أنه أعظم من كل واحد منهم.

إن حجة أنشطة داود في ١٢: ٣ و ٤ ستكون إشكالية بما يكفي للفريسيين، لكن التأكيدات الواضحة بأن يسوع أعظم من الهيكل ورب السبت ستُعتبر في نظرهم مُبالغًا، بل وتجديفًا. ومن أهم أسباب اختلاف يسوع مع الفريسيين اختلافهم في تفسير العهد القديم. فالفريسيون يبدأون بتأسيس السبت ويعتبرونه بالغ الأهمية.

إنه يتجاوز الاعتبارات الإنسانية الكامنة وراء تشريع سفر التثنية ٢٣: ٢٥، الذي يُجيز قطف الحبوب وتناولها. أثناء السير في الحقل. أما يسوع، فيبدأ باهتمام الله بشعبه، والذي يتجاوز تأسيس السبت في مناسبات معينة. فقد خُلِق السبت لمصلحة الناس، لا لمصلحة الناس.

مرقس ٢: ٢٧. بصفته ربّ السبت، يُقدّم يسوع التفسير القاطع لدوره في حياة شعب الله. لقد منح يسوع تلاميذه الراحة، ونيّرًا هنيئًا، وحملاً خفيفًا. ونهجه تجاه السبت مثالٌ واضحٌ على كيفية تحقيق وعده.

الآن، في ١٢: ٩-١٤، نريد أن نناقش بإيجاز جدلاً آخر، هذه المرة حول شفاء الكنيس يوم السبت. يُعزز هذا المقطع المأزق الأساسي بين يسوع والفريسيين، وهو ما يتضح في ١٢: ١-٨. إنهم على خلاف حول علاقة شريعة السبت بأعمال الرحمة. من الواضح أن الفريسيين يُفسرون شريعة السبت تفسيراً صارماً، ولا يُجزمون حالات الرحمة كتلك التي شملت شفاءات يسوع.

لكن يسوع يُشير إلى تناقض في نهج الفريسيين. لم يُمانعوا في إنقاذ خروف من البئر يوم السبت، ومع ذلك أدانوه لشفائه شخصاً أثمن بكثير عند الله من خروف. نظرياً، كان من الممكن أن يُجيئوا يسوع بأن شفاء يد الرجل ليس مسألة حياة أو موت.

وكان من الممكن أن ينتظر حتى الغد. لكن رواية متى تنتهي بهذا الرد من يسوع. من الواضح أن يسوع كان يؤمن بأن التوراة المكتوبة لم تُنتهك بهذا الشفاء.

النزاع القانوني أمرٌ، لكنه دفع الفريسيين إلى اتخاذ خطوات لإنهاء النزاع بالقضاء على يسوع. للوهلة الأولى يبدو هذا حلاً قاسياً لنزاع ديني. ربما كان الفريسيون يخططون ببساطة لتطبيق خروج ٣١: ١٤، لكن دوافعهم كانت على الأرجح وراء ذلك.

من الواضح أن يسوع يُنظر إليه على أنه تهديد للوضع الراهن، لذا قد يكون هناك دافعٌ للغيرة، لأن زيادة شعبية يسوع وتأثيره تعني حتماً انخفاضاً في شعبية الفريسيين وتأثيرهم. ننتقل الآن إلى إنجيل متى ١٢، الآيات ١٥ إلى ٢١. يُشكل متى ١١ و١٢ جزءاً من المادة السردية التي تؤكد على تزايد المعارضة ليسوع في الملكوت.

سبق مناقشة البنية الثلاثية لإنجيل متى في هذه المجموعة السردية. تتضمن هذه البنية ثلاث مجموعات من المقاطع، تحتوي كل منها على مقطعين يؤكدان على عدم الإيمان، يليهما مقطع يؤكد على الإيمان. تجد هذا في مخططك في الصفحة ٢٥.

مع متى ١٢: ٢١، نكون قد وصلنا إلى نهاية المجموعة الثانية من هذه المجموعات الثلاث، حيث تُشدّد الآيتان ١٢: ١-٨ و ٩: ١٤ على عدم الإيمان، وتُشدّد الآيتان ١٢: ١٥-٢١ على الإيمان. يُفيد الاستشهاد بإشعيا ٤٢: ١-٤ ومتى ١٢: ١٥ وما يليهما في ثلاثة أغراض. فهو يُفسّر سبب انسحاب يسوع من الصراع مع الفريسيين، وحثّ الناس الذين شفاهم على عدم الكشف عن هويته.

بصفته خادم الرب المُمكّن بروحه، لم تكن خدمة يسوع تتسم بالصراع والكلام الجارح لتحريض الجماهير. بل كان شخصاً لطيفاً ورحيماً في خدمته للضعفاء. قارن متى ٥: ٧ و ١١: ٢٩.

ثانياً، يشير إشعيا ٤٢: ١ و ٤٢: ٤ إلى أن العبد سيخدم الأمم. مع أن يسوع يُرفض بشكل متزايد من قبل العديد من أبناء الملكوت، قارن ٨: ١٢، إلا أن متى يوضح تدريجياً أن بعض الأمم مُتقبلون للملكوت. لاحظ العديد من المقاطع التي أُشير فيها إلى ذلك في الرواية.

، وأن على أتباع يسوع أن يوسعوا آفاقهم لخدمة عالمية تشمل جميع الأمم. قارن 9: 22، 14: 24، 32: 25 و 28: 18-20. ثالثاً، يؤكد إشعيا 42: 1 أن خدمة الخادم ستكون مُمكنة بالروح.

هذا يُمهّد الطريق لردّ يسوع على الافتراء بأن قدرته على طرد الأرواح الشريرة شيطانية. وهكذا، يُعتبر اتهام الفريسيين في ١٢: ٢٤ مُخالفاً للكتاب المقدس، ويُعدّ افتراءً لا يُغتفر على روح الله. ١٢: ٣١ و ٣٢

من المفارقات أن قوة يسوع في الملكوت تكمن في الخدمة النابعة من التواضع والرحمة. قارن ١١: ٢٩. يستخدم المسيح قوته ليس للسيطرة على الناس، بل لخدمتهم.

لا يسعى يسوع إلى توسيع نطاق الملكوت بمشاجرات أنانية تتضمن خطاباً تحريضياً. فخدمته ستُحقق النصر للعدالة في النهاية) ١٢: ٢٠.

لكن حتى يوحنا المعمدان شكك في كيفية تحقيق ذلك. لا شك أن على المسيحيين اليوم أن يتعلموا الكثير من ربهم في هذا الشأن. كما أن مسار حياتهم هو مسار الخدمة التضحية

قارن ١٦: ٢١-٢٥ و ٢٠: ٢٥-٢٨. والآن ننتقل إلى أحد أصعب المقاطع في إنجيل متى، وهو المقطع الذي يُسمى بالخطيئة التي لا تُغفر، والذي وصفناه هنا ببسوع ورئيس الشياطين في ١٢: ٢٢-٣٧. على سبيل التوضيح، تبلغ معارضة الفريسيين لبسوع ذروتها في هذا القسم

أدى شفاء رجل أعمى أبكم ممسوس بالشیطان إلى ردود فعل متناقضة. فمن جهة، تساءل الجمع عما إذا كان يسوع هو المسيح. ومن جهة أخرى، ربما ردّاً على المعجزة وانفتاح الجمع على يسوع، اتهم الفريسيون يسوع والأهم من ذلك، الروح القدس، بالتعاون مع رئيس الشياطين

١٢: ٢٢-٢٤. يشمل رد يسوع بقية المقطع، ١٢: ٢٥-٣٧. فيه، يُجادل يسوع بشكل مُقنع ضد وجهة نظر الفريسيين بشأن خدمته، ويؤكد أن خدمته لا يجب أن تُفهم إلا على أنها مجيء الملكوت بقوة روح الله، ١٢: ٢٥-٢٨.

ثم يُشبّه زحف الملكوت إلى سلطان الشيطان بتقييد رجل قوي ونهب أهل بيته، ويُحدّر أتباعه من استحالة الحياذ في عمل الملكوت (١٢: ٢٩-٣٠). (إن افتراء الفريسيين يُمثّل خطيئة لا تُغفر، وتجديفاً لا يُغفر، ليس فقط على يسوع، بل على روح الله الذي يُمكنه ١٢: ٣١-٣٢). (علاوة على ذلك، فإن كلماتهم الافتراضية تكشف عن قلوبهم الشريرة، وتندّر بهلاكهم الأخروي، تماماً كما تُثبت الثمار الفاسدة قسوة الشجرة) (١٢: ٣٣-٣٧).

الآن، مجيء يسوع وتقييد الشيطان. يُقرّ معظم المفسرين بأن متى ١٢: ٢٨ و ٢٩ يُعلّمان عن وجود ملكوت الله، وأن قدرته الخلاصية بدأت تتعدى على سلطان الشيطان خلال حياة يسوع وخدمته. وبشكل عام، يرتبط هذا التعدي أو التقييد، بطريقة ما، بوصف تقييد الشيطان في الهاوية في سفر الرؤيا ٢٠: ١-١٠.

يجادل اللاهوتيون الذين يؤمنون باللائلية عموماً بأن الشيطان قد رُبط بالمجيء الأول للمسيح، بحيث لم يعد بإمكانه خداع الأمم، مقارنةً برؤيا يوحنا ٢٠، الآية ٣. أما الذين يؤمنون باللائلية السابقة، وخاصةً التدريسية، فيتخذون وجهة نظر معاكسة، مؤكدين أن تقييد الشيطان في رؤيا يوحنا ٢٠ هو حدث مستقبلي لن يحدث إلا عند المجيء الثاني للمسيح إلى الأرض. ويبدو أنه لا بد من إيجاد بعض الحقيقة في كلا الرأيين يجب على أتباع التدبيرية إفساح المجال للهزيمة الحاسمة للشيطان عند المجيء الأول ليسوع، ويجب على اللائلية ألا يقللوا من شأن مدى قدرة الشيطان المحدودة على الإضرار بالكنيسة

لقد تحطمت قوة الشيطان بشكل فعال من خلال المجيء الأول للمسيح، ومع ذلك فإنه لا يزال عدوًا قويًا. يجب مقاومته بكل وسائل النعمة، قارن أفسس 6: 11 وما يليه، يعقوب 4: 7، 1 بطرس 5، الآيات 8 و9 فقط في المستقبل سيكون الشيطان عاجزًا تمامًا، ومن الواضح أن ذلك على مرحلتين، رؤيا 20، الآيات 1-10 يمكن للمؤمنين أن يفرحوا لأن قوة إنجيل يسوع تغلب بالفعل على العدو، يوحنا 12: 31، 16: 11، أعمال الرسل 26: 18، ومقاطع أخرى مثل كولوسي 1: 13. ويمكنهم أن يفرحوا بأن الله سيدمر في النهاية أعمال الشيطان الشريرة تمامًا بحيث لا يمكن أن يسكن في الأرض الجديدة إلا البر، رؤيا 21 و22. الآن، مسألة تجديد الروح القدس، الخطيئة التي لا تُغفر

ينبغي على جميع قراء إنجيل متى أن يستوعبوا الكلمات الجلييلة الواردة في الآيتين ١٢:٣١ و٣٢، لكن يبقى السؤال قائمًا حول طبيعة الخطيئة التي لا تُغفر. لقد استخدم وعاظُ حسنو النية، وإن كانوا مُفرطين في الحماس، هذه الآية أحيانًا لتهديد مستمعيهم بأن عدم تصديق رسالة الإنجيل هو ارتكاب الخطيئة التي لا تُغفر. في الخدمة الدينية، ربما تكون قد قابلت أشخاصًا يعتقدون أنه لا أمل لهم لأنهم أضاعوا يوم نعمتهم المزعوم.

يميل اللاهوتيون إلى تفسير الخطيئة التي لا تُغفر على أنها الخطيئة العامة المتمثلة في عدم الإيمان، وربط هذا المقطع من إنجيل متى بنصوص أخرى مثل يوحنا 3:18، ويوحنا 16:9، و1 يوحنا 5:16. ولكن على الرغم من خطورة عدم الإيمان بيسوع بشكل عام، فإن أولئك الذين يتخذون هذا المقطع كمرجع له ربما يكونون مخطئين. يتضمن الموقف المحدد في متى 12 معجزات يسوع المُقوَّاة بالروح، والتي كان ينبغي اعتبارها دليلًا على مكانته المسيانية (12:23)، وسلطته على غفران الخطايا على الأرض (9:6). (وبعيدًا عن مجرد عدم الإيمان بهذا، فإن الفريسيين يشوهون خدمة الروح مع المسيح باتهامهم يسوع بالتعاون مع نفس القوى التي تغلب عليها خدمة ملكوته، وفقًا لـ 12:29. لذلك، سيكون من الحكمة أن يتوخى المفسرون الحذر في التطبيق الواسع لهذا النص على عدم الإيمان بشكل عام. من المؤكد أن عدم الإيمان بيسوع المسيح أمر لا يغتفر، ولكن الهدف من هذا النص هو التأكيد ليس فقط على عدم الإيمان في مواجهة الأدلة الواضحة على أن يسوع هو المسيح، ولكن أيضًا على التحريف المشيني للأدلة المسيانية إلى أدلة شيطانية

اليوم، يُطلب من الناس تصديق الإنجيل عند سماعه، وهذا لا يُبرر إطلاقًا فكرة أن من لا يقبل يسوع فورًا قد دخل في حالة من الهلاك الذي لا يُغتفر. للأسف، ردّ الفريسيين على كلمات يسوع اللاذعة هذه بطلب آية تُثبت صحة كلامه. وهذا أمرٌ مثيرٌ للسخرية، لأن ردّهم المُفترى على آيته المعجزية السابقة هو ما دفعهم إلى هذه الكلمات.

لم يكونوا بحاجة إلى أدلة دامغة، بل إلى قلوب طيبة. فما فائدة المزيد من المعجزات؟ الآن، آية يونا في متى ١٢، الآيات ٤٥-٣٨. يحتوي متى ١٢، الآيات ٣٨-٤٥، على جزأين، كلاهما يؤكد خطورة عدم إيمان معاصري يسوع.

يُقارن الجزء الأول بين عدم إيمان الفريسيين وحالات إيمان بارزة ومدهشة في العهد القديم (١٢: ٣٨-٤٢). أما الجزء الثاني فيكشف هذا الكفر بشكل مُشابه (١٢: ٤٣-٤٥)، وذلك للإشارة بوضوح إلى أن حال إسرائيل، سيكون أسوأ بعد عدم إيمانها بيسوع مما كان عليه قبل مجيئه. ويبدو أنه تحذير مُبهم من التوبة السطحية ونبوءة مُبطنة عن مصير مُعاصري يسوع في الآخرة

قارن لوقا ١١: ٢٤-٢٦. يُبرز هذا المقطع شرور عدم الإيمان المُتأصل، كما يفعل قليلون غيره. بعد أن رأى الفريسيون يسوع يصنع معجزات كثيرة، بدلًا من أن يؤمنوا، نسبوا تلك المعجزات إلى الشيطان بشكلٍ مُبالغ فيه.

عندما أظهر لهم عجز هذا الموقف، لم يستجيبوا بالإيمان، بل بطلب غير صادق ظاهريًا لمعجزة أخرى. يُقَارَن عدم إيمانهم في مواجهة أدلة دامغة بإيمان أهل نينوى وملكة الجنوب في مواجهة أدلة ضئيلة نسبيًا وهكذا، يُقدِّمون مثالًا قاتمًا لما تحدَّث عنه يسوع في ١١: ٢٥، من أن الله أخفى رسالة الملكوت عن الحكماء والفقنين في تقديرهم، وكشفها للصغار.

لن تُجدي أي آياتٍ أخرى نفعًا لهؤلاء الناس، ولا حتى قيامة يسوع من بين الأموات. مثل ١٢: ٤٣-٤٥ مُبهم. فمُجَرَّد غياب الأرواح الشريرة لا يُحقِّق الفداء.

كان المنزل قد نُظِّف، لكن لم يكن هناك مستأجر صالح قد سكنه بعد. ربما يشير هذا إلى رد فعل معاصري يسوع على خدمة يوحنا وخدمته. تاب البعض، لكن الكثيرين لم يتوبوا، ما أدى إلى غياب توبة وطنية حقيقية وظلت آفاق المستقبل قاتمة.

أخيرًا، لا بدّ من إضافة بعض التعليقات على الآيات ١٢، ٤٦-٥٠، حول عائلة يسوع الحقيقية. يُشكِّل إنجيل متى ١١ و١٢ جزءًا من مادة سردية تُشدّد على تزايد المعارضة ليسوع وملكوته. وقد سبقت مناقشة هذا الهيكل الثلاثي لهذه الكتلة السردية في شرح إنجيل متى ١١: ١-٦، وفي الصفحتين ٢٤ و٢٥ من هذه الملاحظات.

يتضمن الهيكل ثلاث مجموعات من المقاطع، تحتوي كل منها على مقطعين عن عدم الإيمان ومقطع يُشدّد على الإيمان. في متى ١٢: ٥٠، وصلنا إلى نهاية المجموعة الثانية من هذه المجموعات الثلاث، حيث تُشدّد المقاطع ١٢، ٣٢-٣٧، و١٢: ٣٨-٤٥ على عدم الإيمان، وتُشدّد المقاطع ١٢، ٤٦-٥٠ على الإيمان. عند هذه النقطة في ١٣: ١، يُقدم متى خطاب يسوع الثالث الذي ينتقل إلى الكتلة السردية التالية بعد الانتقال المميز في ١٣: ٥٣.

في الآيات ١٢: ٤٦-٥٠، يتحول المزاج من عدم الإيمان إلى الإيمان، ومن منظور سلبي إلى إيجابي. تصبح عائلة يسوع تحذيرًا من التلمذة السطحية. في موضع آخر، يُؤكد يسوع على العائلة، لذا فالمقصود هنا ليس عدم احترامهم، بل الولاء لمن تُنظم حياتهم قيم الملكوت.

لقد أحسن ديفيز وأليسون التعبير عندما قالوا إن هذه الكلمات لا تُفكِّك الروابط العائلية، بل تُضفي عليها، طابعًا نسبيًا. قد يضطر تلاميذ يسوع إلى ترك عائلاتهم، ١٩: ٢٩. بل قد يواجهون خيانة أفراد عائلاتهم. ٣٧-٣٥، ١٠: ٢١.

يجب على المسيحيين اليوم أن يتبعوا مثال يسوع في مجال الولاءات العائلية (٢٣: ٨). (فليس من الغريب أن يعامل المسيحيون إخوتهم وأخواتهم في المسيح بقسوة تتعارض مع قيم الملكوت والعلاقة في عائلة الله. هناك حاجة ماسة إلى تقدير متجدد للحقيقة الواردة في متى ١٢: ٤٦-٥٠).

أخيرًا، نلخص إنجيل متى ١١ و١٢، وننتقل إلى الإصحاح الثالث عشر. فيهما، يُنبه متى قراءه تدريجيًا إلى المعارضة والرفض المتزايدين للذين واجههما يسوع. وقد أشار سابقًا بإيجاز إلى هذه المسألة، التي تتفاقم في هذا الإصحاح إلى تجديد لا يُغتفر.

لكن الإصحاح الثاني عشر يُشير إلى خلاف تام بين يسوع وقادة اليهود. إجمالًا، يُوضح الإصحاح أن نهج يسوع، تجاه العهد القديم يتعارض تمامًا مع نهج الفريسيين. لقد خططوا لقتل من هو أعظم من داود، والهيكل والسبت، ويونس، وسليمان.

وبينما تتصاعد معارضة الجيل الشرير والزاني، يبدأ يسوع في التحدث أكثر بالأمثال التي يتواصل بها مع... تلاميذه بينما يخفي الحقيقة عن أعدائه، الذين